

الْتَمَسْتُ بِالْأَمَلِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ وَقَتَ الْأَزْمَاتِ ٣ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: مَعَ مَا يُعَانِيهِ إِخْوَانُنَا فِي غَزَاةِ الْجَرِيحَةِ بَلِ الْمُدْمَرَةِ، مِنْ دِمَائِهِمُ الْمُرَاقَةِ، وَأَشْلَائِهِمُ الْمُمَزَّقَةِ، وَمَسَاجِدِهِمْ وَيُيُوتِهِمُ الْمُدْمَرَةِ، وَمُسْتَشْفَيَاتِهِمُ الْمُهْدَمَةِ، وَمَعَ مَا يُعَانُونَهُ مِنْ ذَلِكَ هَذَا الْعَدُوِّ الصُّهُيُونِيِّ الْغَاشِمِ بِأَحْدَثِ الْأَسْلِحَةِ، وَأَشَدِّهَا فَتْكًَا، مَعَ كُلِّ هَذَا الَّذِي تَتَقَطَّعُ مِنْهُ الْأَكْبَادُ، وَتَحْزَنُ لَهُ الْقُلُوبُ، بَيِّنٌ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ نَعِيشَ الْأَمَلَ وَالتَّفَاوُلَ؛ فَمَعَ حَوَالِكِ الْكُرُوبِ، وَمَعَامِيعِ الْخُطُوبِ، وَمُدْلِهَمَاتِ الدُّرُوبِ، تَشَرَّبْتُ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِشْرَاقَاتِ النَّصْرِ، وَتَتَطَلَّعُ لِلْفَرَجِ، فَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ قَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفٍ، وَنَهَضَتْ بَعْدَ خُمُودٍ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ بِالْتَّمُكِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُكُمْ لَيْمَشُطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيَشَقُّ بِأَثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ». هَكَذَا عَدَلَ ﷺ إِلَى تَسْلِيَتِهِمْ بِمَنْ مَضَى قَبْلَهُمْ، وَلَكِنْ وَعَدَهُمُ بِالنَّصْرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَّبِعِي عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ لِحِكْمَةٍ، فَيَصْبِرُ الْمُؤْمِنُ وَيَرْضَى؛ رَغْبَةً فِيمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلصَّابِرِينَ الرَّاضِينَ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عِظْمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». وَعِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ يَتَبَيَّنُ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَقَوْلُهُ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ اسْتَفْهَامٌ إِنكَارٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَابَدُّ أَنْ يُبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلَ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ». وَهَذِهِ آيَةٌ كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾، وَمِثْلُهَا فِي سُورَةِ «بَرَاءةٍ»، وَقَالَ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أَيِ: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمْ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعَاوَاهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ. وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَيْمَةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي مِثْلِ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إِلَّا لِنَرَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَا إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُودِ، وَالْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَا، فَإِنَّهُ [يَتَعَلَّقُ] بِالْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَفْعَلُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الْإِبْتِلَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفَوَائِدُهُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: اسْتِخْرَاجُ عُبودِيَّةِ الضَّرَاءِ، وَهِيَ الصَّبْرُ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

الثَّانِي: تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى أَلْهَمَ يَهُمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ».

الثَّلَاثُ: رَفْعُ الدَّرَجَاتِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ خَرَجَ زَائِرًا لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ، فَبَلَغَهُ شَكَاتُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَائِدًا وَمُبَشِّرًا، قَالَ: كَيْفَ جَمَعْتَ هَذَا كُلَّهُ؟ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ زِيَارَتَكَ، فَبَلَغْتَنِي شَكَاتُكَ، فَكَانَتْ عِيَادَةً، وَأُبَشِّرُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبْرُهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ».

الرَّابِعُ: يَوْذُ أَهْلِ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْذُ أَهْلِ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ».

الْخَامِسُ: النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَعْكَ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْشِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي، أَسْلَطْتُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا؛ لِتَكُونَ حَظَّةً مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ».

السَّادِسُ: تَمْحِصُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاتِّخَاذُ الشُّهَدَاءِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَسْبَابًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: التَّضَرُّعُ وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَّبِعِي الْعَبْدَ بِالْمَصَائِبِ وَالْحَسَنَاتِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ وَيُنِيبَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فَتِلْكَ الْمَصَائِبُ وَالْبَلَايَا تُرْجِعُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ؛ لِيَعْلَمَ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ، وَحَاجَتَهُ لِرَبِّهِ، وَأَنَّهُ فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ بِذَاتِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ حَالَ رَخَائِهِ. فَالْنِّعَمُ لَا تُبْعِدُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَلَا تُقْصِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ حَالُ النِّعْمَةِ شَاكِرٌ مُطِيعٌ لِلَّهِ، خَاضِعٌ لَهُ، مُنْقَادٌ لِأَوَامِرِهِ، مُجْتَنِبٌ لِنَوَاهِيهِ، يَعْرِفُ اللَّهَ فِي رَخَائِهِ فَيَعْرِفُهُ اللَّهُ فِي شِدَائِهِ، فَيُعِينُهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَيُعِينُهُ عَلَى تَحْمُلِ الْمَصَائِبِ، وَيَمْنَحُهُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، أَوْ: يَا غُلِيمُ، أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ

كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

الثَّالثُ: مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَرْفَعُ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبَ تَقْوَى اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

الرَّابِعُ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ. أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ».

الخَامِسُ: كَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ عَلَى لِسَانِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

السادسُ: كَثْرَةُ الدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ الرَّخَاءِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ».

عِبَادَ اللَّهِ: مَا أَكْثَرَ الْفِتَنِ آخِرَ الزَّمَانِ! أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا، عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ». فَالدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَمِحَنٍ، وَالْحَصِيفُ مَنْ تَحَرَّزَ لِنَفْسِهِ وَلِدِينِهِ؛ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي الْفِتَنِ، وَلِيَنْجُو مِنْهَا، فَالدُّنْيَا مَمْلُوءَةٌ بِالْفِتَنِ وَالْبَلَاءِ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ انْتَهَى مِنْهَا كُلُّ خَيْرٍ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّرُّ وَالْفِتْنُ وَالْبَلَاءُ كَمَا هُوَ شَأْنُ آخِرِ الشَّيْءِ وَنَهَائِيَّتِهِ عَادَةً، يَذْهَبُ صَفْوُهُ، وَيَبْقَى كَدْرُهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْفِتَنِ الَّتِي تَكُونُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. وَكَانَتْ أَوَائِلُ تِلْكَ الْفِتَنِ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَمَا وَقَعَتِ الرَّدَّةُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ اشْتَدَّتِ الْفِتْنُ بِمَقْتَلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا حَدَّثَ بَعْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَشَأَ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَتَفَرُّقِ الْقُلُوبِ وَظُهُورِ فِتَنِ الدِّينِ؛ كَبَدَعَ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ ظُهُورِ بَدْعِ أَهْلِ الْقَدَرِ وَالرَّفْضِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. وَكُلُّ ذَلِكَ وَقَعَ، وَفِي هَذَا مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَهُ ﷺ.